البحث الخامس

الماء الحي والتعميد

الماء ، الضياء ، والحياة... حلقات مترابطة بين عالم النور والأرض ، الماء الحي أصلاً نشأ في عالم الأنوار لأن بعد أن كان عالم النور بدأت الحياة ومنها جاء الماء الحي ، ومن الماء جاء البهاء ومن البهاء النور ، ومن النور جاء الملائكة الأثريين ، ومن النور والماء جاءت الحياة كذلك يذكر لنا كتاب الكنزا ربا أن الحياة تكونت من الماء والنور بقوة ملك النور السامي.

(بِأَمْرِ مَلِكِ النُّورِ الْعَظِيمِ ذِي الْوَقَارِ حَلَّ الثَّمَرُ الْعَظِيمُ دَاخِلَ الثَّمَرِ الْعَظِيمِ ، وَبِأَمْرِهِ سُبْحَانَهُ ، كَانَ أَثْيِرُ الضِّيَاءِ الْعَظِيمِ ، وَمِنْ آيَرِ زِيُوا ، أَثْيِرِ الضِّيَاءِ الْعَظِيمِ ، كَانَتْ الْحَرَارَةُ الْحَيَّةُ ، وَمِنْ الْحَرَارَةِ الْحَيَّةِ كَانَ النُّورِ ، بِقُدْرَةِ مَلِكِ النُّورِ السَّامِي صَارَتْ الْحَيَّاةِ ، وَصَارَ الثَّمَرُ الْعَظِيمِ ، وَصَارَ فِيهِ يَرْدِنَا ، وَإِذْ صَارَ يَرْدِنَا الْعَظِيمِ ، صَارَ الْمَاءُ الْحَيِّ ، الْمَاءُ الْمُتَأَلِّقُ الْبَهِيجِ ، وَمِنْ الْمِيَاهِ الْحَيَّةِ نَحْنُ الْحَيَّاةَ صِرْنَا ، ثُمَّ صَارَ الْأَثْرِيُّون).

إن الماء الآسن الأسود كان يغطي الأرض وعندما صُبَّ الماء الحي من عالم الأنوار أصبح الماء الذي يغطي الأرض عذبًا لغرض نشر البهاء وتقديم العون للأرواح ، وتهيئة المناخ للتعميد والشفاء ، إن اختلاط الماء الحي السماوي بماء الأرض عزَّز العلاقة بين عالم النور والعالم الأرضي ، مما أدَّى إلى نشوء الحياة في العالم ولولا ذلك لبقي ماء الأرض آسن لا حياة فيه.

إن الماء الجاري يدخل في كل الطقوس المندائية (التعميد ، المسقثا ، وتكريس رجل الدين والزواج والنحر والتطهير والوضوء – الرشاما – والطماشة ، وتكريس المندي ، وكل المراسم والشعائر الدينية) ، فلا تتم شعيرة دون وجود الماء الحي والنور لأنهما رمزا الحياة ، فلا تعميد لمندائي إلا بوجود الماء الجاري والنور...

عادة يجري التعميد عند المندائيين يوم الأحد من كل أسبوع وخلال المناسبات الدينية، والتعميد ضروري عند الولادة والزواج وتطهير الروح والجسد من أي ذنب، إن الغطس في الماء في مراسم التعميد يعتبر العامود الفقري في هذا الرسم المهم، والتعميد عادة تتم مراسم منه بالغطس داخل الماء، ومراسم تجري على اليابسة على حافة النهر حيث الدرفش مثبت، وهناك تتم رسوم وشعائر طقسية مكملة حيث يتم تناول الخبز والماء ومسح الجبين بزيت السمسم ويردد المتعمد وراء رجل الدين تراتيل دينية خاصة بشعيرة التعميد.

وهذه التراتيل تحتوي على نصوص عميقة المعنى، إن الماء يقوم الحياة ويعززها لأن اليردنة عنصر خالق للحياة وبهائها، وتكون الماء ونشوء الحياة من مائها الخاص، وكيفية قيام الحياة بتكوين الأشياء الحية داخل الماء.

إن الروح عند تعميدها ترفع إلى الأعلى لتصل إلى عالم النور، وإذا نظرت إلى الماء في قارورة رجل الدين الذي يقوم بشعيرة التعميد؛ كأنه ماء الرجل القوي الخصب، لقد حملت أنشبي بـــ(يحيى بن زكريا) بعد أن شربت ماء من اليردنة (الماء الحي الجاري).

إن الماء كما ذكرنا هو حلقة الوصل بين عالم النور والعالم الأرضي ويكون الماء شاهدًا أو سرًا للروح عند صعودها إلى عالم النور، إضافة إلى النور والحياة فهما الدليل لعروج النشماثا.

ألقيت محاضرة علمية عن (السر العظيم للماء) من قبل الأستاذ المنهدس عباس فاضل جميل في جمعية الدنمارك المندائية في كوبنهاجن، نلخصها بالتالي:

١- جميع الأديان تقر بقدسية الماء، وأن الماء الحي ذو قدرة غير اعتيادية، ويعتبر الماء علة جميع الأشياء، فالدين الإسلامي كما ورد في القرآن الكريم (وخلقنا من الماء كل شيء حي)، والدين المندائي يؤكد أن الماء الحي جلب من عالم الأنوار (الجنة)... وأن الماء الجاري مادة حية وله تأثير كبير على البشر والحيوان والنبات، ويذكر لنا الدين المسيحي في الإنجيل أن الماء ليس فقط مادة

فيزيائية مجردة، إنه مفهوم نادر وعظيم، وهذا المفهوم يرتبط بطريقة وأخرى بفكرة الحياة.

٢- الماء يعتبر أكثر الموارد الشائعة والمعتادة والمستخدمة على الأرض وليس له لون أو طعم أو رائحة، ولا تعرف الأسرار التي يخبئها في داخله، وأن كمية المياه الموجودة في الطبيعة هي نفسها عندما بدأ كل شيء.

٣- يجري الماء بقوة وصلابة، ورغم أنه طيع يأخذ شكل الإناء الذي يوضع فيه، لكنه دائمًا ينتصر على المواد القوية ورغم نعومته وانسيابيته يزيح ويذيب المواد الصلبة، وهو يمتلك من الخصائص الفيزيائية والكيميائية شيئًا غير عادي مقارنة بالسوائل الأخرى، وهذا الماء أمره عجيب فإن كثافته تزداد كلما قلت درجة الحرارة وتقل كلما زادت درجة الحرارة ويزداد حجمه عند انجماده، فيكون قوة هائلة لتفتيت الصخور، وإعطاء النبتة قوة هائلة تستطيع النفاذ من خلال الإسفلت مثلاً.

٤- لا أحد يستطيع أن يجيب لماذا الماء وحده يكون على ثلاث حالات، سائلة وصلبة وغازية (بخار)، ويتمتع بقوة شد سطحي كبيرة، وهو أقوى سائل مزيت للمواد، وله قدرة نادرة على الخاصية الشعرية والتسلق في عروق الأشجار عكس الجاذبية، وهو مادة موصلة للصوت والكهربائية.

٥- الغريب بالأمر أن العلماء يؤكدون بالتجارب أن الماء يملك ذاكرة، وله قدرة على خزن صفات المواد وخزنها بمجرد ملامسته لها، والظاهر أن الماء يرى ويحس، وهذا يعني أن الماء عبارة عن حاسوب عظيم، وأن التركيبة الجزئية للماء تعتبر مثل ألف باء الكتابة.

٦- هناك خوارق ومعجزات حدثت عبر التاريخ البشري كما يسميها الروحانيين مثل حمل اليصابات أم النبي يحيى بن زكريا (يهيا يوهانا) عليه السلام عند شربها الماء، وهناك معجزة شق البحر الأحمر وظهور اليابسة وعبور نبي الله موسى وأتباعه، وكيف تمكن هذا النبي بقدراته الروحانية من

تحويل الماء إلى خمر دون إضافة أي مواد سكرية أو لاكتوز مثلاً، (يسميها الماديون ميثولوجيا)، والماء يتأثر كثيرًا بالمشاعر الإنسانية مثل الحب والعاطفة والحنان والموسيقى ، وكذلك يتأثر بمشاعر الخوف والرعب والكراهية والعدوانية، فهو يزداد طاقة وقوة بالمشاعر الإيجابية وتقل طاقته عند المشاعر السلبية... وأن الماء عندما تزداد طاقته عند تعرضه لمشاعر إنسانية طيبة ؛ تصبح له قدرة على سرعة نمو النباتات وسرعة نضوج الأثمار ، وأجريت تجارب عديدة على نباتات تمَّ سقيها بالماء العادي ونباتات مشابهة تمَّ سقيها بالماء الإيجابي، ولاحظوا أن هناك فرق كبير في النمو والفائدة... كما أن كمية الماء المطلوبة للإسقاء تكون أقل بهذا الماء المعدل.

٧- من المعلوم أن جسم الإنسان يتكون من ٧٠-٩٠% من الماء أي ما يعادل أربعة أخماس وزنه، ونحن كبشر نشرب يوميًا بحدود لترين من الماء وينفذ إلى أجسامنا لتر ونصف من الماء عند السباحة، فتصوروا كمية الماء التي نستخدمها خلال حياتنا ، وأن الماء الذي ينساب في الأنهار بمسار منحني ، والماء المنقول بالمواسير وبسبب تغيير مساره عدة مرات وبشكل حاد تؤثر على تركيبة الماء الحقيقية بشكل تصاعدي ، وأننا كبشر أحياناً نوسخ الماء ونلحق به أضرارًا بالنتيجة تضرنا وتسبب لنا الأمراض ، حتى الماء يتمرض عندما يتعرض روحيًا للكراهية والعدوانية ، وعند إجهاده بسريانه في أنابيب طويلة ومتعرجة وتحت ضغط جوي عالي.

٨- الكرة الأرضية وعاء هائل للماء، كذلك أجسام البشر والحيوان والنبات وأن أقسى المواد فيها كمية من الماء، وأن أول الكائنات الحية وجدت بالماء، ولاحقًا تطورت وعاشت خارج الماء، وأن الماء حقق غاية الخالق، وأن انبعاث الحياة كان الشرارة الإلهية الأولى ، وهي التي كتبت على الماء تسلسل التطور المستقبلي لكل نوع من الأحياء التي تطورت من البكتريا البسيطة للوصول إلى هيئة المثالية الحالية، ويؤكد العلماء أن الماء يكون التركيبة الحلزونية للحامض النووي (دي إن إيه)، ودون الماء لما تكونت هذه الحلزونيات، والماء يصنع

هيكل البروتينات ودون الماء فإن الهيكل سوف لن يعمل، إذن في الماء تبدأ الحياة لأي بذرة وأي جنين.

٩- اكتشف العلم نوعًا آخر من الماء، وهو الماء الثقيل (أوكسيد الديوتريوم) (دي تو أو)، الذي يستخدم كأساس في صناعة القنبلة الهيدروجينية المدمرة.

١٠- تتحسن نوعية الماء كما ذكرنا في أعلاه عندما يعامل الماء من قبل الإنسان بصورة إيجابية، أي عندما يشكره أو يتبارك به يكون فيه الخير والبركة وجرعة من الماء تنعش الإنسان وتسقيه وتمنحه النضارة والصحة، والماء الذي تربى عليه الإنسان في وطنه مثلاً لسنين طويلة يكون ارتباطًا بين هذا الإنسان والوطن الذي ولد وعاش فيه، وهذه لا تعطي دلالات وطنية فقط، بل دلالات فيزيائية أيضًا، وأن الماء الطبيعي الجاري فيه حياة بينما ماء القناني رغم نقاوته ونظافته فهو ماء ميت لا حياة فيه، وهذا سر تمسك المندائيين بالماء الحي الجاري.

١١- إن أي عملية اشتعال تتطلب توفر كمية من الماء في المواد المشتعلة، ولو أخذنا كمية من البنزين ورفعنا الماء منها سوف لا تشتعل وهو سر من أسرار الماء.

١٢- دماغ الإنسان هذا المخ الكبير والعقل الجبار يتكون بشكل أساسي من الماء، وجزيئات الماء هذه تشترك بتكوين نماذج المعلومات الدماغية، وهذا الماء موجود في جميع أجزاء الجسم، وهو يحتوي على كم هائل من المعلومات وعندما يدخل جسم الإنسان فهذا الإنسان يتقبل هذه المعلومات.

١٣- وللدلالة على حياة الماء الحي أجريت تجارب عديدة، منها أن عالمًا يابانيًا وضع كمية من الأرز في ثلاثة دوارق زجاجية متشابهة وملئها بالماء الحي، وكان يكرر كلمة شكر يوميًا على الدورق الأول، وكلمة أنت غبي على الدورق الثاني، وأهمل الدورق الثالث، وبعد عدة أيام لاحظ انتعاش حبات الأرز في الدورق الأول ونموه وإصداره رائحة طيبة، أما الأرز في الدورق

الثاني فغدى أسود اللون، وتعفن الأرز في الدورق الثالث، هذا يعني أن الماء يسمع ويرى ويحس، ويتضح أن الماء يتأثر بالمؤثرات الخارجية ولهذا ترى أن التوائم المتحدة يحس أحدهما بالآخر من على بعد، بسبب الماء الموجود في أجسامهم، والماء الحي يجب أن يكون محيطه قاعدي، أما الماء الميت فيكون محيطه حامضي، ولهذا معظم الحيامن تموت في المحيط الحامضي وتنتعش في المحيط القاعدي.

١٤- وللتأكد من إحساس الماء وتجاوبه مع هذا الإحساس حدث صدفة أن سقطت أنبوبة اختبار فيها سم قاتل في حوض ماء من يد عاملة المختبر، ولأن الأنبوبة كانت محكمة الإغلاق لهذا توقعوا أنها ليس لها تأثير على الماء، ولكن من باب الحيطة والحذر قررت العاملة إعطاء كمية من هذا الماء لفئران المختبر، ولاحظت أنها ماتت كلها بعد شربها للماء بعشرة دقائق، وهذا يعني أن الماء تأثر بمجرد ملامسته الأنبوبة للماء، وعند فحص الماء وجدوا أنه صافي، ولكنه استقبل معلومات سلبية من مادة السم القاتل وتأثر بها رغم أنه لم يختلط بها، ووجد بعض العلماء أن الماء يتأثر بالظواهر الطبيعية مثلاً قبل أسبوع من موعد كسوف الشمس، بمعنى أن لدى الماء إحساس بما حوله.

١٥- ولهذا ليس غريبًا أن يصلي الناس صلاة الاستسقاء لنزول المطر أو صلاة المطر عند أديان أخرى، وهذا الاعتقاد لا أظن أنه جاء من فراغ، وهذا يفسر كوارث الطبيعة من فيضانات وتسونامي في جنوب شرق آسيا، وإعصار كاترينا في أمريكا وغيرها.

١٦- للماء قدرة فائقة على تنظيف نفسه بنفسه من جميع أنواع التلوث الكمياوي والمعلوماتي بواسطة الملوحة الموجودة في البحار والمحيطات، أثناء تبخر الماء إلى بخار ونزوله مطر، كذلك عند تجمده في المحيطات القطبية وذوبانه، وبهذه العمليات والتحولات من حالة إلى حالة يتم مسح المعلومات المخزونة في الماء والعودة لحالة الاستقرار التركيبي مع الاحتفاظ بالبرامج الأساسية للحياة.

إن فقدان ٢% من كمية الماء في الجسم يشعر الإنسان بالعطش، وعند فقدان ١٠% يصاب الجسم بالجفاف، وعندما يصل الفقدان ١٢% يحدث الموت، وكمية الماء في جسم الجنين في رحم أمه تصل إلى ٩٣%، وهذه النسبة تقل إلى ٥٠% عند الوفاة.

مما ورد أعلاه من معلومات مع الاعتذار للمهندس عباس فاضل على هذا الاختصار الشديد، وكتابة الموضوع بتصرف كموجز لهذه المحاضرة القيمة المتعوب عليها جهدًا ووقتًا، على اعتبار أن المعلومات صحيحة ودقيقة وقام بها علماء في مختبرات علمية، أرى أن رجال الدين الذين يؤكدون على الصباغة (التعميد) في الماء الجاري لهم الحق فيما ذهبوا إليه لأن الماء كائن حي، يجب أن يعامل بلطف وحنان وعاطفة، كما يعامل الطفل الرضيع أو النبتة عند بداية الإنبات، وأن ما ورد في كتاب ألف ترسر وشياله أن لا تبنوا عوائق (سدود) تعيق جريان الماء لم تأتِ من فراغ، لأن الحي العظيم ما خلق شيء عبثًا، وما ذكر شيء في تعليماته بطرًا، وتبقى المشكلة هنا في الدول الإسكندنافية في فصل الشتاء، وانخفاض درجة الحرارة وتجمد وجه الماء، تتطلب حلولاً بإنشاء أحواض لها مدخل للماء ولها مخرج لغرض الجريان ليكون الماء حيًا، لأن الحاجة أم الاختراع، خاصة وأن فصل الشتاء في هذه البلدان طويل.

والمعاناة موجودة في كثير من الدول خاصة الصناعية لتلوث الأنهار بالمواد الكيماوية ومخلفات الصناعة، ولهذا أصبحت الأحواض ضرورة اضطرارية لمعالجة الحالة[١].

١- من غرائب الأمور هناك في فنزويلا في أمريكا الجنوبية ؛ توجد بحيرة ماء معزولة ليس لها تماس مع البشر، لالا العلماء أن هذا الماء يحمل طاقة عالية، ويعطي إشعاعات كبيرة جدًا، والتي تؤثر إيجابيًا على جسم الإنسان بالمقارنة مع باقي مياه الشرب، لذا فإن مياه فنزويلا للبلار تجعل الناس الهنود سعداء وأصحاء وهم لا يرغبون أن تصل إليهم الحضارة، وهنا عندنا في السويد يا أخ عباس أبو زيد الماء من أنقى المياه في العالم، ولذلك نحن نشرب الماء من حنفيات الإسالة في البيوت، ومسموح شرب ماء البحيرات لأن الدولة تحافظ على نظافتها ونقاء الماء فيها، ولربما هذا سبب صحة ونضارة وجمال أهالي السويد.

وفي الهند هناك ملة دينية ترمي جثث موتاها في النهر تبركًا بماء النهر ، ويقولون إنها لا تلوث ماء النهر لأن الماء له قدرة على تنظيف وتجديد نفسه...

وعمومًا فإن المندائيين دينيًا يفضّل عددٌ من رجال دينهم الصباغة في النهر الجاري ، وبوجود النور ، لأن الصباغة تعني طهارة الجسد والنفس ، وأن الإنسان المتعمد عندما يغط في الماء للحظات ثم يظهر على وجه الماء ويتنفس يمنح حياة جديدة ، وتغسل كل ذنوبه وخطاياه ، ويشعر بالانتعاش والراحة النفسية والإيمان العميق ، وكأنه ولد من جديد... ولهذا فإن شعيرة الصباغة من الطقوس الأساسية المهمة في الدين المندائي ، وأحسن الأوقات أيام البروناية البيضاء ، ويمكن الصباغة ليلاً ونهارًا لأنها أيام نورانية ، وأيام دهفة ديمانا في النهار ، وأيام الآحاد ، وممكن الصباغة في كل الأيام عدا أيام المبطلات في النهار حصرًا بوجود النور ، لأن الماء والنور هما رمز الحياة وفق الفكر المندائي ، وكما ورد في الكتاب المقدس كنزا ربا مبارك اسمه:

(اذكروا الله وسبحوه كثيرًا ، هيئوا يردنا واصطبغوا ، اصبغوا نفوسكم بالصبغة الحية التي أنزلها عليكم ربكم من أكوان النور ، والتي اصطبغ بها كل الكاملين المؤمنين)... كنزا ربا اليمين... الوصايا.

قال العقلاء من أبناء الصابئة المندائيين إنه حاليًا كل أنهار العالم أصبحت غير صحية ، ما عدا بحيرات السويد مازال ماءها عذبًا... أما بقية أنهار العالم فتحولت إلى مكبات صناعية في الدول الصناعية ، أما في البلدان المتخلفة فهي ممرات للمياه الثقيلة ومياه البزل ، وترمى فيها حتى النفايات ، ولهذا فهي غير صالحة للشرب ولهذا يباع ماء الشرب في معظم بلدان العالم بالقناني مقابل ثمن.

كذلك لا يوجد حاليًا نهر في العالم لم يتم بناء سدود عليها ، فهذا دجلة والفرات والكارون والكرخة عليها عشرات السدود وماؤها غير صالح للشرب ، أما مياه الإسالة فهي مياه نقية صافية صحية وحاليًا لا تستخدم الواشرات المطاطية

(الجلب) ومفردها جُلبة؛ لتطور التكنولوجيا وهي مياه جارية لأنها تنتقل من أحواض إلى أحواض وممرات ضخمة ومواسير كبيرة، أما مادة الكلور فهي مادة معقمة صحية ولتطور تكنولوجيا التصفية تمَّ الاستغناء عنها، والحقيقية أن الماء الحي عند مروره بأنابيب متعرجة طويلة يتغير تركيبه.

هناك عدد من رجال الدين بين هذا وذلك إذ يقولون لحل المشكلة ننشئ بئرًا قريبًا من المندي (المعبد) وبواسطة ماتور غطاس نسحب الماء من البئر ونملأ الحوض، وهذا حلال... هنا تدخل العقلاء والمثقفون ورجال الدين المتنورون وقالوا بأن الصباغة وإجراء المراسيم الدينية في الأنهار وفي الأحواض كلها حلال، والإنسان حر الاختيار حسب رغبته وقناعته، وعليه أن يختار أين تجرى له المراسيم الدينية، وكل حسب قناعته وحسب ظروفه النفسية ورغبته وليس هناك حلال وحرام لننهي هذه المشكلة، الحياة تتطور وعلينا مواكبة التطور ولا رجعة للوراء أبدًا.

ولهذا يعتبر الماء الحي هو الحياة التي انبعثت من عالم الأنوار، وهو الوسيلة التي تحتاجها النشمثا عند عروجها إلى عالم الأنوار (الجنة)... سواء كان ذلك خلال التعميد أو في رحلة ما بعد الموت عندما تترك النشمثا (النفس) الجسد وتعرج إلى السماء، وعند إجراء مراسيم المسقثا.

* * *

يذكر الدين المندائي ويؤكد على إجراء الطقوس والمراسيم الدينية في اليردنا أي في الماء الحي الجاري، ويصر عدد من رجال الدين على أن الماء الجاري يعني النهر الجاري، ولكن بتطور الحياة ومراعاة للطقس في فصل الشتاء أنشأت أحواض في المنادي في دور العبادة، وجعل لها مدخلاً للماء، ومخرجًا ليكون الماء جاريًا لكي لا يركد، ومشي الحال على أحسن ما يمكن!.

وهنا في أوروبا وخاصة في الدول الإسكندنافية حيث درجات التجمد في فصل الشتاء الطويل أنشأت أحواض مدفئة تملأ بالماء الدافئ، ولكن ظهرت ردة من قبل بعض رجال الدين المندائيين ومعظمهم من كانوا يعيشون في عربستان في الحويزة ومدن إيران الجنوبية المجاورة للعراق، والتي كانت سابقًا جزء من العراق وسكانها عراقيين... هذه الفئة من رجال الدين ترفض إجراء الطقوس الدينية في الأحواض وتصر على إجرائها في النهر، وهؤلاء معظمهم يعيشون إما في إيران أو أستراليا حيث يسمح لهم الطقس بذلك، ولكن قل لي بربك كيف تعالج الأمور مثلاً في السويد والنرويج والدنمارك وفنلندا وعموم أوروبا؟...

فانقسم رجال الدين إلى فئتين؛ فئة تعمد الناس في الأحواض، وفئة تعمد في الأنهار، وعند مناقشتهم تقول الفئة الأولى إن هناك نص في كتاب ترسر وألف شيالة (ألف واثني عشر سؤال) يقول لا تبنوا سدود على الأنهر، وماء الإسالة باطل لأنه يقطع الماء أولاً، ولأن فيه واشر مطاطي ثانيًا، ولأن فيه مادة الكلور الكيميائية ثالثًا...

وعمومًا المستقبل بيد الشباب المندائي وبيد رجال الدين المتنورين الأكاديميين المتطورين... وكل المتشددين والمتزمتين إلى زوال، والحياة تستمر وتتطور، وبمقارنة بسيطة نلاحظ أن كل الشباب حاليًا يفضلون الصباغة بالحوض وبالماء النظيف الدافئ، وفي المنادي المتطورة يتباهون بها أمام زملائهم وأصدقائهم، ورجل الدين المتنور عليه أن يحسب حساب المستقبل وحساب الأجيال الصاعدة وعليه أن يخفف من الغلو والتشدد، مع المحافظة على جوهر الدين.

قلنا مرارًا وتكرارًا إن الشعائر والطقوس هي التي تميز دينًا عن دين آخر، وحتى مذهب عن مذهب آخر، وهذه الطقوس والشعائر وضعها وكتبها رجال الدين في حينها وطبقًا للظروف الحياتية والمناخية التي كانوا يعيشون بها، تغيرت الحياة وتطورت وعلينا مواكبة هذا التطور للمحافظة على شاباتنا وشبابنا، والنشء الجديد، وأن الدين يسر وليس عسر، وعلى الجميع أن يواكبوا

التطور طالما لا يلحق ضررًا بالدين لأن عجلات التطور تدور والزمن يتطور والحياة تجدد والمستقبل دائمًا تصنعه الأجيال القادمة المثقفة ورجال الدين الشباب المتنورون الدارسون الأكاديميون.

وهنا ضرورة الإسراع في تشكيل المجلس الروحاني العالي لرجال الدين ليرسخ استراتيجية لمستقبل أبناء الطائفة في العالم بعد أن توزعوا في شتات الأرض ومعظمهم حاليًا يعيش في بلدان ديمقراطية متطورة ، علينا جميعًا كهيكل تنظيمي مدني أو هيكل تنظيمي ديني الإسراع بوضع الخطط والبرامج والاتفاق على الحد الأدنى المسموح الذي يحقق الاتفاق ويضمن المستقبل وديمومة الدين المندائي ومن الحي العظيم التوفيق.

المندائية و طقوس الماء الجاري :

ذكر القاضي زهير كاظم عبود في مقال له؛ أنه ليس فقط طقوسهم التي تعتمد على (اليردنا) الماء الحي الجاري، ولا العديد من تلك الطقوس التي تمارس وسط موجات الماء الحي غير الراكد، وليس فقط تلك الثياب البيضاء التي تعبر عن الطهارة والنقاء، فالاغتسال ميزة رمزية تعبر عن طهارة الجسد، ولون الثياب البيضاء تعبِّر عن الطهارة، فنقاء الروح وطيبة النفس والنزوع للخير مميزات تعتمدها المندائية نصًا وفعلاً.

(صباغة الروح والجسد) تلك ما تعمده طقوس المندائيين، تطهير النفس البشرية من شرورها وآثامها، غسلها بالماء الجاري لتعود نظيفة وصافية، واعتماد الماء عصب الحياة وعمودها الأساسي في تلك الديانة القديمة قدم البشر.

كلمة مندائي حسب الدراسات اللغوية جاءت من جذر كلمة (صبأ) الآرامي، معناها اللغوي اصطبغ أو غطس أو تعمد، ويمارس المندائيون طقس الاغتسال في الأنهر الجارية، ومعنى كلمة مندائي العلم والمعرفة، ووفقًا للآرامية فإنها تشير إلى الذي يعرف أو يعتقد بوجود الله خالق الكون ، وقد عرف العرب كلمة (صبأ) أي خرج من الدين، بما يؤكد خروج الإنسان من دين الضلالة إلى دين التوحيد، وفي لسان العرب خرج من دين الى دين آخر كما تَصبَأُ النُّجوم أَي تَخْرُجُ من مَطالِعها.

وقد ورد في الكنزا ربا في سورة التوحيد:

(مسبح ريي بقلب نقي هو الحي العظيم، البصير القدير العليم، العزيز الحكيم، وهو الأزلي القديم، الغريب عن أكوان النور، هو القول والسمع والبصر، الشفاء والظفر، والقوة والثبات هو الحي العظيم، مسرة القلب وغفران الخطايا، مسبح ريي بقلب نقي... يارب الأكوان جميعًا مسبح أنت مبارك ممجد، معظم، موقر، قيوم، العظيم السامي، الحنان التواب، الرؤوف الرحيم، الحي العظيم، لا حد لبهائه، ولا مدى لضيائه، المنتشرة قوته، العظيمة قدرته،

هو العظيم الذي لا يرى ولا يحد، لا شريك له في سلطانه، ولا صاحب له في صولجانه، من يتكل عليه فلن يخيب، ومن يسبح باسمه فلن يستريب، ومن يسأله فهو السميع المجيب، ما كان لأنه ما كان، ولا يكون لأنه لا يكون، خالد فوق كل الأكوان، لا موت يدنو منه ولا بطلان).

فالطقوس عادة مستلة من عمق الدين ومن بين النصوص المقدسة، وهي تعبر عن نظام العبادة وشكل الشعائر الدينية والعبادات، وتشير (الكنزا ربا) (الكتاب المقدس عند المندائيين) إلى تلك الطهارة والسمو بالنفس الإنسانية والترفع عن الصغائر، وتحث على الصدقة والمحبة والسلام، وتأمر المندائيين أن ينشروا خيرهم ومحبتهم على الناس أجمعين كما ينشر الماء الجاري عذوبته وروعته وبساطته، ومثلما يتم تعميد الطفل المولود حديثًا في الماء الجاري حتى تحثه تلك الديانة على أن يكون نقيًا وصافيًا ومعطاء، مثل تلك المياه الجارية التي غسلت جسده وجعلت روحه صافية .

والنصوص المقدسة التي يضمها الكنزا ربا تُعتبر كلامًا مقدسًا وتعاليم يوجب الالتزام بها، ويمكن أن يكون تعريف كلمة الكنزا ربا تعبيرًا عميقًا عن تلك النصوص والتي تعني بالكنز العظيم، ويتطرق إلى قصص الأنبياء والأزمان الأولى التي كانت فيها المندائية تشع على ما حولها من مناطق تقع على ضفاف الأنهار، بالإضافة إلى ما ضمته من قصص الخليقة والرسل والأنبياء والتعاليم الروحية والمصادر الأساسية للإيمان بالتوحيد، وتحث تلك النصوص على المحبة والمعرفة وتدعو للطهارة الروحية قبل الجسدية، وقد جسد المجتمع المندائي تلك التعاليم بطريقة عملية، واتبع أتباع هذه الديانة تلك التعاليم ومارسوا تلك الطقوس دون أن يخالفوا تعاليم دينهم في تقديم الخير والمحبة والسلام لجميع الناس .

وإذا كانت الرمزية تعبيرًا عن تلك الديانات ، فإن طقوسها وشعارها يكملان تلك الرمزية، ولعل تلك الرمزية التي تنعكس على شعار المندائية (الدرفش)، وما يسمى بعلم يحيى، وهو شعارهم المتكون من عصى متقاطعة، إحداها مدببة

من الأسفل تشكل علامة (+) تلتف عليها قطعة من قماش الحرير الأبيض مشرشبة من الأسفل ويعلوها عدد من أغصان الآس.

ولطالما عبرت الملابس البيضاء عن النقاء والطهارة ، فقد اعتمدت المندائية تلك الملابس حتى في طقس الزواج الجاري وسط الماء الجاري، ولأن تلك الشعائر ترتبط بالرمزية فإن طقس الزواج يوجب على المتزوجين ارتداء (الرستة) وهي ملابس بيضاء ترمز إلى نقاء الضوء وطهارة النفس البشرية ، كما أن رجال دينهم يرتدون الملابس البيضاء أيضًا.

ولعل أهل العراق عمومًا أكثر معرفة بتلك المواصفات التي التزم بها المندائيون باعتبارهم من سكنة العراق الأوائل، ومن أهل الديانات التوحيدية القديمة أيضًا، ومن المجتمعات التي تمكنت من الاختلاط والانسجام مع عشائر وأعراف وديانات المجتمع العراقي، ولعل أنبل تلك الشعائر ذلك الالتزام الصارم بالمحبة والوداعة والدعوة للسلام التي رافقت حياتهم، بالرغم من كل المحن والسلبيات التي رافقتهم والتي عكستها العقلية الساذجة أو المتطرفة ضدهم على مر الزمان.

تلك الطهارة ليست ثوبًا يرتديه المرء، ولا طقسًا دينيًا يمارسه، ولا نصًا مقدسًا يطالعه، إنما هي ممارسة يومية وإيمان بحقيقة تلك الطهارة التي تغمر الروح والعقل ، فتحيل الإنسان إلى كائن سامي يجاهد من أجل قيم الخير والمحبة ليعكسها على ديانته وطقوسه، تلك هي طقوس الديانة المندائية التي تحث على المحبة والخير والسلام بين الناس.

ليس سرًا أن تعتمد المندائية على عبادة الخالق الواحد الأحد قبل كل تلك الديانات التي عمت المنطقة، وليس سرًا أيضًا أن تحث معتنقيها على البحث والتطوير والعمل وتنقية النفس والصوم والزكاة والصدقة والتعميد والاغتسال في المياه الجارية، ومن يستل من هذه الالتزامات مجموعة بشرية تعايشت مع كل تلك المحن والظروف التي عصفت بالعراق ووزعتهم في مشارقه ومغاربه

وبعثرتهم في كل أنحاء الأرض ، غير أنهم وبالرغم من كل تلك القوافل من القرابين التي تقدمت على مذبح حرية الإنسان والعراق، كانوا صابئة مندائيين بحق، نقشوا على جباههم قيم المحبة والتسامح والنخوة والشهامة، ورفعوا مع رايتهم البيضاء الناصعة راية السلام والتآخي.

المندائية ديانة تحث على الطهارة ونقاء النفس البشرية من الحقد والكراهية، مثلما تحث على كل القيم الإيجابية، ونجح أتباعها في غرس محبتهم في قلوب وضمائر من تعرف عليهم عن قرب.

الماء ما بين العلم والدين:

ما أن دخلت النفس (نيشمثا) عنوة في جسد آدم حتى بدأ يراقب ما حوله من ظواهر الطبيعة، وقد انبهر من جراء ما يطرأ على هذه الظواهر من تغيرات رتيبة دورية أو عنيفة فجائية، فجعل يسأل نفسه عن سر مولد اليوم ومماته وكيف ينتشر ضوء الفجر بعد السحر اللجيني ثم يمتد الصبح حتى يصير نهارًا بينًا، ويرتفع الضحى وتحمى الظهيرة ثم يأخذ صهدان الشمس يفتر رويدًا رويدًا حتى المغيب فيبين الشفق العسجدي، وهذا القمر يبدو بدرًا ثم لا ينفك يتضاءل أمام ناظريه حتى يتخفي محاقًا ، وهذه النجوم الزاهرة المنتشرة والشهب المندثرة والنيازك المبعثرة والكسوف والخسوف وهذه الفصول الأربعة تتخالف ألوانها وتتميز خصائصها، وهذه السحب المدفوعة وما تسحه من أمطار وقوس قزح الذي يتراءى في اليوم المطير وهذا السيل الجارف والجدول المنساب يترقرق ماؤه زلالاً ، والبركة الساجية لا يغشى الموج صفحتها فهي تعكس طلعة الناظر الدهش ، وهذه الأزهار ذات الأريج المنعش والغابات الكثيفة تصورت فيها فيرتد إليك رجع الصدى والريح والعصوف تقتلع الأشجار وتقلقل الأحجار والبروق الملعلعة والرعود المدوية يصم هزيمها الأسماع ، وهذه الجبال المكللة قللها بالجليد الناصع تندلع من فوقها ألسنة النيران وو...

كل تلك الأسرار كشف عنها الإنسان لأن الحي العظيم أنعم عليه بالمعرفة والإدراك، وكل ذلك جعل الإنسان يندفع بخطى سديدة نحو كشف المجهول، فارتابته تلك النظم المتناهية الدقة بين الخالق والخليقة، وأخافته الأسرار الخفية فحار فكره ونفذ صبره، وحالما استكان بادر بالسؤال ما سر هذا النظام؟ وما سر الطهارة والنجاسة؟ وما علاقة كل ذلك بالماء؟ وهذا هو لب موضوعنا الذي تتجسد فيه نعمة الحي العظيم التي تدفع الإنسان من باب الاستعارة أن يتأمل عظمة ملك النور السامي.

إن معظم جزيئات المركبات في الطبيعة تنطبق فيها الشحنة السالبة على الشحنة الموجبة إلا الماء، فأجزاؤه تتكون من اتحاد ذرتين من الهيدروجين مع ذرة واحدة من الأوكسجين بآصرتين إلكترونيتين بحيث الخطوط الواصلة بين مراكز الذرات الثلاث تكون مثلث متساوي الساقين رأسه ذرة الأوكسجين وقاعدته الخط الواصل بين ذرتي الهيدروجين، وهذا يجعل مركب الشحنة السالبة في رأسه والموجبة قريبة من قاعدته، لذلك تكون جزئية المركز مستقطبة، أي لها قطبان موجب وسالب، وبسبب القوة الجزئية ينجذب رأس الجزيئة نحو قاعدة الأخرى، فتتكون سلاسل ذات حركة عشوائية التوائية، وبسبب الحركة الجزيئية تتقطع السلاسل ثم تعود تلتئم من جديد عندما تنخفض درجات الحرارة لأن الجزيئات تهدأ حركتها وعند درجة أربعمائة تنغلق السلاسل فيكون للماء أصغر حجمًا وأعظم كثافة، وعندما تنخفض درجة الحرارة أكثر تشتد القوى بين الجزيئات وتأخذ السلاسل شكلاً دائريًا أي أكبر حجم ممكن وأقل كثافة في درجة الصفر، عندها يتحول الماء إلى جليد، أي أن الماء بين درجة أربعمائة والصفر المئوي يكون شاذ، وهذه الشواذ تعطي الماء خواص ذات فوائد عظيمة جدًا...

فالجليد يطفو على سطح الماء ويكون عازلاً حراريًا، فمهما انخفضت درجات حرارة الجو يبقى الماء في الأنهار والبحار والبحيرات والمستنقعات العميقة سائلاً رغم كونه متجمدًا عند السطح أي أن الماء في هذه الظروف الحرارية

المنخفضة ملائم لمعيشة الأحياء المائية فيه، وبسبب قطبية جزيئات الماء أصبح من أفضل المذيبات للغازات والمواد الصلبة، فالماء ملائم لتنفس الأحياء المائية وإذا دققنا أكثر نجد أن كل خلية حية يشكل الماء الجزء الأكبر من تركيبها وهذا يساعد على التبادل الغازي أثناء التنفس وانتقال الأوكسجين والمواد الغذائية من خلية إلى أخرى داخل الأجسام ، بالإضافة إلى ذلك فسلاسل جزيئات الماء بسبب حركتها الالتوائية المستمرة تتخلل بين دقائق الأوساخ والأدران العالقة ، تحيط بها فتحتويها وتزيلها ، وهذا هو سر استخدام الماء في غسل وتنظيف الأجسام من الأدران العالقة بها ، أما استخدام المساحيق المنظفة فهو من أجل تقليل الشد السطحي للماء كي يتسنى لجزيئاته النفوذ من خلال أصغر الثغور وأيضًا لإذابة الدهون.

إذن فالحي العظيم جعل من الماء ينبوعًا للحياة ، فبدونه تجف وتذوى وتموت ، وإذا لم نبالغ فالماء يدخل حتى في تركيب الأجسام التي تبدو وكأنها جافة كالمطاط والبلاستيك ، وحلما تفقد هذه المواد جزيئيات مائها فإنها تفقد مرونتها ، وتتفتت وهذا ما يحدث للأواني البلاستيكية والمطاطية إذا ما تعرضت طويلاً لضوء الشمس لا لحرارتها ، فهل هذا كل شيء عن الماء؟.

لنتساءل : لماذا سُمي نبينا يحيى بن زكريا الطبيب الشافي الذي دواؤه الماء الحي؟ وما هو سر استخدام الماء في تطهير النفوس من آثامها؟ أو للتحلل من الخطيئة؟ ولتغطية ذلك علينا أن نعرف كيف نشأ الماء الحي وكيف نشأت معه الحياة في عالم النور...

وإليك مقتطفات من أحد نصوص الكنزا ربا المبارك:

(... ولما كان مانا الكبير ذو الوقار في الثمرة الكبيرة تكونت منه مانات كثيرة ، زاد ضوؤها وكبر نورها ، ولم يكن أحد قبلها وعندما كان المانا الكبير هناك صار من تلك الثمرة آلاف مؤلفة من الثماء لا حصر لها ، تقف وتسبح المانا الكبير الذي حل في الأثير العظيم للحياة الموجودة في اليردنا

(الماء الأبيض) ، إن رائحة هذا الماء تعطر أصول النور جميعًا ، ثم صار اليردنا الكبيرة ومنه صارت اليرادن ، ومن اليردنا نفسها نشأت الحياة ثم انصب نهر الحياة على أرض الأثير التي تسكن فيها الحياة نفسها متخذة هيأة هانا الكبير ذي العظمة... طلبت تلك الحياة لنفسها طلبًا فصار (الأثري) الذي أطلق عليه (الحياة الثانية) ولم تقم هذه الحياة إلا بعد أن جرى اليردنا الأول في أرض النور ، فنشأ أثريو الحياة الثانية في هذه اليردنا ، سأل الأثريون الثلاثة الحياة الثانية : أأنت من خلق هذا النهر ، قالت : إن الحي العظيم خلقني ويردنا الحياة هو وأنتم صرتم بقدرة الحي العظيم).

ما نفهمه من هذا النص أن الماء مثلما كان هو نبع الحياة، ومن دونه تموت في الدنيا، فهو أيضًا نبع الحياة في عالم النور، وعندما تصلبت الأرض وسقطت في الماء، كان ذلك الماء المتاخم يحتوي على أسرار المادة ويخلو من أسرار النور ، ولكن بعد أن جُبل آدم ونزلت فيه النشمثا وهي مرسال عالم النور ، أصبح هذا الماء المتاخم (ميا تهمي) غير ملائم لأنه يفتقر إلى أسباب النقاء لأنه ميت لا حياة فيه، ومن أجل النفس لابد من إنعاشه بإقحام أسرار النور فيه، لذلك أضيف الماء الحي إليه بنسبة جزء واحد إلى ثمانية أجزاء من (الماء التهم) إذن فالماء الحي بالنسبة للماء التهم كالنيشمثا بالنسبة للجسد، وهو كنسبة رأس الإنسان إلى جسده، إذن فالماء مثلما يطهر الجسد من الأدران العالقة به فهو يطهر النشمثا من النجاسات التي تعود إلى عالم الظلام ، ويتم ذلك بالصباغة الحية في الماء الجاري (اليردنا) لأن أسرار النور تكون حرة طليقة ولها القدرة على كبح أسرار النجاسة.

أما إذا لم يكن الماء جاريًا كالماء الموضوع في القدور أو في الأحواض والتي لا ينساب منها مثلاً، فإن أسرار النور وهي أسرار الماء الحي تكون مقيدة لا حول لها ولا قوة، ولهذا تستطيع أسرار النجاسة أن تشل قواها فيتجرد الماء منها ، وذلك إذا ما لامسته النجاسة، ولكنه إذا كان بعيدًا عن النجاسة يبقى محافظًا على طهارته لأي فترة زمنية مهما طالت ، لذلك يمكن استخدامه

للتطهير وذلك بسكبه على أي جسم يراد رفع النجاسة عنه، لذلك فمياه الينابيع المتدفقة والآبار الجارية والشلالات جميعها تحافظ على أسرار الماء الحي، إذن فهي طاهرة، فالماء مادام جاريًا لا ينجس مهما لامسته النجاسة.

إذن فالماء الجاري (اليردنا) مهما علق به من أدران أو طين أو أوساخ يبقى صالحًا لإجراء الصباغة الحية فيه، وبالعكس مهما كان الماء صافيًا ولكنه غير جاري؛ فإنه لا يصلح مطلقًا لإجراء الصباغة فيه، لا لكونه نجسًا، بل ينجس عند لمسه أو الغطس فيه، ولكن يمكن أخذ أية كمية منه بواسطة إناء طاهر وسكبه لغرض إزالة النجاسة، فسكبه يرفع القيود عنه وتزداد قوة أسرار الطهارة، إذا اتحدت مع أسرار ضوء الدرفش الذي يشع على الماء الجاري، فعندما يحتضن ضوء الدرفش والماء بعضهما الآخر يسخران (شلمي وندبي) هؤلاء هم المختارون الصادقون الذين يذهبون إلى اليردنا، وبضوء الدرفش يرفلون لأنه يحرسهم ويقومهم ويرفع صباغتهم إلى العلياء، أما الممبوها (الماء المبارك) فيعده رجل الدين بعد ملء قنينة من الماء الجاري وختم فوهتها بـــ(الشوم ياور)، ويباركه بدعاء (برياويش كنّا) ودعاء (أشمخ يثر هيي).

أما الطريانة فيعملها رجل الدين من الطين الحي الذي هو على تماس مع الماء في اليردنا، لأن هذا الطين يحتوي في داخله – حتى لو جفَّ – على كمية من الماء الحي، وترمى في النهر بعد الانتهاء من استعمالها للأغراض الطقسية، ولا يجوز فخرها لأنها ستفقد الماء الحي الذي يحافظ على طقسيتها، وفي هذه الحالة فغير المسموح استعمال الصحون المعدنية أو المصنوعة من السيراميك لا سيما إذا أريد استخدامها لعمل (المسخثا) أو (القماشي) أو سواهما من الطقوس التي تستوجب درجة عالية من الطهارة.

* الماء، الضياء،
الحياة، حلقات مترابطة.
* عالم النور الحي الماء الحي
[redacted] النور الملائكة الأثريون.
* الحياة = الماء الحي + النور.
* الماء الحي: هو أول ما خلق، ومن مكانه انبثق
ومنه سُحب، وفي اليردنا تدفق،
منذ نشماثا (النفس) كونت
موجة من الماء الحي نوديت.
* الصباغة (التعميد) طقس أساسي لطهارة
النفس (النشمثا) في الحياة،
والمسقثا (ارتقاء النفس)
كذلك طقس أساسي..